وأعلم أن القبط بمصر نظير النبط بالعراق ومنف نظيرة بابل والروم والاقاصر بمصر نظير الفرس والاكاسرة بالعراق والاسكندرية نظير المدائن . والفسطاط نظير بغداد . والجميع اليوم بعد الاسلام وتشمله دعوة بني العباس

الفصل الخامس

فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن

وأما أبنيتهم ففيها هندسة بارعة وترتيب فى الغاية ، حتى أنهم قلما يتركون مكانا غفلا خاليا عن مصلحة ودورهم أقبح وغالب سكناهم فى الاعالى ويجعلون منافذ منازلهم تلقاء الشمال والرياح الطيبة ، وقلما تجد منزلا إلا وتجد فيه باذاهيج وباذاهيجاتهم كبار واسطة للريح عليها تسلط ويحكمونها غاية الاحكام حتى أنه يقوم على عمارة الواحد منها مائة دينار الى خمس مائة وان كانت باذا هيجات المنازل الصغار يغرم على الواحد منها دينار وأسواقهم وشوارعهم واسعة وابنيتهم شاهقة ويبنون بالحجر النحيت والطوب الأحمر وهو الآجر وشكل طوبهم على نصف طوب العراق

ويحكمون قنوات المراحيض حتى أنه تخرب الدار والقناة قائمة ، ويحفرون الكنف الى المعين فتغبر عليها برهة من الدهر طويلة ولا يفتقر الى كسح وإذا أرادوا بناء ربع أو دار ملكية أو قيسارية استحضر المهندس وفوض اليه العمل فيعمد الى العرصة وهى تل تراب أو نحوه فيقسمها فى ذهنه ويرتبها بحسب مايقترح عليه ثم يعمد الى جزء جزء من تلك العرصة فيحمره ويكمله بحيث ينتفع به على انفراده ويسكن ثم يعمد الى جزء آخر ولا يزال كذلك حتى تكمل الجملة بكمال الاجزاء من غير خلل ولا استدراك

وأما المسناة فيسمونها الرزينة ولهم فى بنائها اتقان حسن ، وصفته أن يحفر الاساس حتى تظهر النداوة وثرير الماء فحينئذ يوضع ملبن من خشب الجميز أو نحوه على تلك الارض الندية بعد ماتمهد ، ويكون عرضه نحو ثلثى ذراع وقطر حلقته نحو ذراعين مثل الذى يجعل فى قعر الآبار ثم يبنى عليه بالطوب والجير نحو قامتين فيصير بمنزلة التنور . فيأتى الغواصون وينزلون هذه البير ويحفرونها وكلما نبع الماء

نزحوه من الطين والرمل ، ويحفرون أيضا تحت ذلك الملبن فكلما تخلخل ما تحته وثقل بما عليه من البناء نزل وكلما نزل غاصوا عليه وحفروا تحته والبناء فى اثناء ذلك يبنى عليه ويرفعه ، ولا يزال البناء يرفع الفاعل تحته يحفر وهو بثقله يغوص حتى يستقر على أرض جلدة ويصل الى الحد الذى يعرفونه، فحينئذ ينتقلون الى عمل آخر مثله على سمته وعلى بعد أربع أذرع منه أو نحوها ولا يزالون يفعلون ذلك فى جميع طول الاساس المفروض ثم يبنون الاساس كالعادة بعد ردم هذه الآبار فترجع أوتاداً راسية للبناء وعمد تدعمه وتوثقه

وأما حماماتهم فلم أشاهد فى البلاد أتقن منها وصفاً ولا أتم حكمة ولا أحسن منظراً ومخبراً . أما أولا فان أحواضها يسع الواحد منها مابين راويتين الى أربع روايا وأكثر من ذلك يصب فيه ميزابان ثجاجان حار وبارد وقبل ذلك يصبان فى حوض صغير جداً مرتفع، فاذا اختلطا فيه جرى منه الى الحوض الكبير وهذا الحوض نحو ربعه فوق الارض وسائرة فى عمقها ينزل اليه المستحم فيستنقع فيه . وداخل الحمام مقاصير بابواب، وفى المسلخ ايضاً مقاصير لأرباب التخصص حتى لايختلطوا بالعوام ولا يظهروا على عوراتهم وهذا المسلخ بمقاصيره حسن القسمة مليح البنية وفى وسطه بركة مرخمة وعليها أعمدة وقبة، وجميع ذلك مزوق السقوف مفوف الجدران مبيضها مرخم الأرض بأصناف الرخام مجزع باختلاف ألوانه، وترخيم الداخل يكون أبداً أحسن من ترخيم الخارج وهو مع ذلك كثير الضياء مرتفع الازاج، جاماته مختلفة الألوان ضافية الاصباغ بحيث اذا دخله الانسان لم يؤثر الخروج منه لأنه إذا بالغ بعض الرؤساء أن يتخذ دارا لجلوسه وتناهى فى ذلك لم تكن أحسن منه

وفى موقده حكمة عجيبة، وذلك أن يتخذ بيت النار وعليه قبة مفتوحة بحيث يصل اليها لسان النار ويصف على افاريزها أربع قدور رصاص كقدور الطراس لكنها اكبر منها، وتتصل هذه القدور قرب اعاليها بمجار من أنابيب فيدخل الماء من مجرى البير الى فسقية عظيمة، ثم منها الى القدر الاولى فيكون فيها بارداً على حاله ثم يجرى منها الى الثانية فيسخن قليلا، ثم الى الثالثة فيسخن اكثر من ذلك ثم الى الرابعة فيتناهى حره ، ثم يخرج من الرابعة الى مجارى الحمام فلا يزال الماء

جاريا وحارا باليسر كلفة واهون سعي واقصر زمان وهذا العمل حاكوا به فعل الطبيعة في بطون الحيوان وطبخها الغذاء، فان الغذاء يتنقل في الامعاء وآلات الغذاء التي هي لكل حيوان وكلما صار الغذاء الى مصير حصل على صنف من الهضم ومقدار من النضج حتى يصل الى المعاء الاخير وقد تناهى

واعلم ان هذه القدور كل حين تحتاج الى تجديد ماينقصها فتوجد القدر الاولى التي هي وعاء البارد قد نقصت اكثر من نقصان القدر التي هي وعاء الحار بمقدارين ولذلك علة طبيعية ليس هذا موضعها

ويفرشون أرض الاتون التي هي مقر النار بنحو خمسين اردبا ملحا وهكذا يفعلون بأرض الافران لأن الملح من طبعه حفظ الحرارة . واما سفنهم فكثيرة الاصناف والاشكال واغرب مارايت فيها مركب يسمونه العشري شكله شكل شبارة داخلة ، الا انه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هندما وشكلا، قد سطح بالواح من خشب ثخينة محكمة وأخرج منها افاريز كالرواشن نحو ذراعين ، وبنى فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروازن بابواب الى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومرحاض ثم يزوق باصناف الاصباغ ويدهن باحسن دهان

وهذا يتخذ للملوك والرؤساء بحيث يكون الرئيس جالسا في وسادته وخواصه حوله والغلمان والمماليك قيام بالمناطق والسيوف على تلك الرواشن واطعمتهم وحوائجهم في قعر المركب والملاحون تحت السطح ايضاً وفي باقي المركب يقذفون به لايعلمون شيئاً من أحوال الركاب ولا الركاب تشتغل خواطرهم بهم بل كل فريق يعزل عن الآخر ومشغول بما هو بصدده وإذا أراد الرئيس الاختلاء بنفسه عن اصحابه دخل المخدع، واذا اراد قضاء حاجته دخل المرحاض، والملاحون بمصر يقذفون الى ورائهم فهم في قذفهم يشبهون الحبالين في مشيهم القهقرى ويشبهون في تحريكهم السفن من يجذب ثقلا بين يديه ويمشي به الى خلفه ، واما ملاحو العراق فهم بمنزلة من يدفع الثقل أمامه ويدسر به فسفنهم تتوجه حيث الملاح متجه وأما سفن مصر فهي تتحرك الى ضد الجهة التي اليها الملاح متوجه . واما أي الحالتين اسهل والبرهان عليها فوضعه العلم الطبيعي وعلم تحريك الاثقال